شاعريّة البحتري بين أبي تمّام والمتنبّي

أ.د. نوزاد شكر الميراني
جامعة صلاح الدين- أربيل
كلية اللغات/ قسم اللغة العربية

الملخص

يجيب هذا البحث على سؤال مفاده، أين تكمن شاعرية البحتري؟ وما هي الأسباب التي جعلت النقاد يقدمونه على أبي تمام والمتنبي، ويصفونه بالشاعر من بينهم؟ كما تسعى الى اظهار الجانب الخبىء في شاعريته من خلال التركيز على ابداعه الشعري فيما هو جديد ومغاير لغيره.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مبحثين مسبوقين بتمهيد ومنتهيين بخاتمة بأبرز النتائج التي توصل اليها البحث، تناول التمهيد: مفهوم الشعرية، ورأي أبي العلاء في وصفه بالشاعر من بينهما، ومكانة الشعراء الثلاثة في معيار النقد العربي، أما المبحث الأول: فقد احتضن أهم الآراء التي قيلت في شاعرية أبي تمام والمتنبي، في حين خُصصّ المبحث الثاني: لبيان شاعرية البحتري وأهم الأسباب التي جعلت النقاد يشيدون بشاعريته ويفضلونه على غيره من الشعراء.

وبعد عرض آراء النقاد تبين: بأن البحتري كان شاعرا معتدلا يجمع بين القديم والحديث، وكان ذو خيال واسع، جاء شعره جميل التعبير واضح المعنى سهل الألفاظ سلساً من حيث الموسيقى والأسلوب الشعري، دقيقا في الوصف والتصوير، وإن شعره جاء بعيدا عن التعقيد والمبالغة، وكانت استعاراته قريبة، ولم يكن مولعا بالمنطق والفلسفة كأبي تمام، مال في مذهبه الشعري الى الإيجاز واللمح وابتعد عن التطويل والتكلف، وإن جمال شعره ظهر أكثر ما ظهر في موسيقاه الشعرية، لقد اهتم البحتري بكل ما يخدم موسيقاه ويقويها، وقد أعانه على ذلك طبعه المترنّم وشاعريته القوية، وتوظيفه الشعري الموفق للمحسنات البديعية: كالتكرار ورد العجز على الصدر والتقسيم والجناس والطباق، وكل ما يخدم موسيقاه ويقويها، لهذه الأسباب وغيرها نال البحتري إعجاب النقاد والدارسين، وتقدّمَهُ على صاحبيه، متمنيا أن تكون هذه الدراسة إضافة جديدة الى الدراسات المعقودة عن شعر الشعراء الثلاثة وبالأخص البحتري.

الكلمات المفتاحية: الشعرية – النقد – المعنى – الجناس – الطباق

المقدمـــة

انشغل النقد العربي القديم كثيراً بالصراع الدائر حول شاعرية كلّ من أبي تمام والبحتري والمتنبي، واختلف النقاد في التفاضل بينهم، إلا أن الصراع الدائر حولهم تمخض عن حكم نقدي مفاده تقديم البحتري على صاحبيه، ومن هنا جاء هذا البحث بعنوان (شاعرية البحتري بين أبي تمام والمتنبي) ليكشف عن الأسباب التي بنى النقاد عليه هذا الحكم.

وقد استقر البحث في بنائه على مبحثين مسبوقين بتمهيد ومنتهيين بخاتمة بأبرز النتائج التي توصل اليها البحث، تناول التمهيد: مفهوم الشعرية، ورأي أبي العلاء في وصفه بالشاعر من بينهم، وأهمية الشعراء الثلاثة في معيار النقد العربي، أما المبحث الأول: فقد أشار الى شاعرية أبي تمام والمتنبي وأهم الآراء التي قيلت في شاعريتهما، في حين خصص المبحث الثالث: لبيان شاعرية البحتري وأهم الأسباب التي جعلت النقاد يشيدون بشاعريته ويفضلّونه على غيره من الشعراء.

وقد استعان الباحث بمجموعة من المصادر القديمة والمراجع الحديثة التي درست الشعراء الثلاثة، فكانت دواوينهم الأساس في هذه الاستعانة، ثم كتب النقد العربي القديمة والكتب التي وازنت بينهم والتي تناولت شعرهم بالدراسة.

ومن الصعوبات التي واجهت الباحث أن الشعراء الثلاث شعراء كبار ومبدعون ولهم أنصار ومعجبون أشادوا بشاعرية كل منهم على حدة وتعصبوا لشعرهم كالصولي لشعر أبي تمام وابن جني لشعر المتنبي والآمدي وعبدالقاهر الجرجاني لشعر البحتري، إلا أنه تم تذليل هذه الصعوبات بفضل الآراء التي قيلت عن شاعريتهم، راجياً أن تكون هذه الدراسة إضافة جديدة الى الدراسات المعقودة عن شعرهم.

التمهيد

مفهوم الشعرية

الشعرية حسب جان كوهين علم موضوعه الشعر، والشعر يعني الاحساس الجمالي الخالص الناتج عن القصيدة، والشعرية صفة تطلق على إيقاظ المشاعر الجمالية واثارة الدهشة وخلق الحس بالمفارقة وإحداث الفجوة ومسافة التوتر والانحراف عن المألوف، وبهذا فإن اللغة الشعرية ليست جاهزة، وإنما هي تتألّف وتتكون(١)، إذ إن الاستخدام الخاص للغة هو الذي يعطي النص شعريته، وإن الشعرية ليست قيمة خاصة بالخطاب الأدبي في ذاته وإنما في قدرة ذلك الخطاب على إيقاظ المشاعر الجمالية في المتلقي أو كسر بنية التوقع أو بعث اللذة و إثارة الاهتمام لديه(٢) فهي مجموع المكونات والعلاقات التي تجعل من نص ما نصا شعريا.

وقيل الشعرية: هي فنيات القول الأسلوبي، والأسلوبية انتهاك لقوانين العادة والانحراف عن المسار المعتاد وانتهاك للمألوف وانزياح عن معيار هو قانون اللغة، الا ان هذا الأنزياح ليس فوضوياً، وإنما هو محكوم بقانون يجعله مختلفا عن غير المعقول(٣)، وهناك من عدّ الانزياح التركيبي سببا في الشعرية لأنه قادر على خرق قوانين اللغة ومعاييرها(٤)، وربما يكون الأبهام سر الشعرية، حيث تصبح اللغة إيحائية و يكون لها محتوى ثابت يتجاوز لغة الاستعمال العادي، لذلك قيل في الشعر لغة داخل لغة(٥)، فالشعرية تعني كل ما ليس شائعا ولا عاديا ولا مطابقا للمعيار المألوف، فهي الخصائص المميزة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي أي أدبيته عند كل أديب، انها تدل على دراسة المقومات التي تجعل من نصّ ما نصّا شعريا، اذن تكمن الشعرية في نمط خاص عن العلاقات التي يقيمها الشعر بين الدال و المدلول وبين المدلولات(٦).

وقد اختلف الشعراء الثلاثة (أبو تمام والمتنبي والبحتري) في أساليبهم الشعرية، مما أدّى الى ظهور صراع نقدي حول شاعريتهم، كانت نتيجته وصف البحتري بالشاعر من بينهم، إذ سُئل أبو العلاء: أي الثلاثة أشعر؟ أبو تمام أم البحتري أم المتنبي؟ فقال: أبو تمام والمتنبي

---

(١) بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري:٩، وينظر استراتجيات القراءة التأصيل والإجراء النقدي، بسام قطوس: ٢٠١.

(٢) استراتجيات القراءة التأصيل والإجراء النقدي : ٢٠٥.

(٣) بينة اللغة الشعرية: ٦.

(٤) مفاهيم الشعرية، (دراسة في الأصول والمنهج والمفاهيم)، حسن ناظم:١٦.

(٥) اللغة الشعرية، محمد كنوني: ٢٦.

(٦) بينة اللغة الشعرية: ١٩.

حكيمان، وإنّما الشاعر البحتري[١]، ولا شك أن رأى أبي علاء لم يأت عبثا، وإنما قرأ الكثير للشعراء الثلاثة، إذ اختصر ديوان أبي تمام وسماه(ذكرى حبيب) وديوان المتنبي وسماه(معجز أحمد) وديوان البحتري وسماه (عبث الوليد)[٢]، فالدلالة المستنبطة من هذا العنوان توحي الى أن الشعر في أساسه عبث ذهني وشعوري قائم على الانفعال والايهام وبعيد عن العمليات الذهنية المجردة ومقومات الفنون النثرية المحكمة والمنظبطة، وإن تميزه بلغة خاصة في الشعر ميزته عن غيره من الشعراء، استطاع من خلال أداء معانيه بطريقة تختلف عنهم عبر خياله الخاص الذي جعل من لغته الشعرية قادرة على التعبير عن عواطفه وحواسه بمنتهى القوة وبغاية الدقة والوضوح، وسُئل الشريف الرّضيّ عنهم، فقال: (أما أبو تمام فخطيب منبر، وأما البحتري فواصف جؤذر[٣]، وأما المتنبي فقاتل عسكر)[٤]، يستشف من قوله وصف البحتري بالشاعر من بينهم بعد أن جعل أبا تمام خطيبا والمتنبي مقاتلا، كما ذهب النقاد الغربيون الى أن شاعرية البحتري تفوق شاعرية أبي تمام بكثير[٥]، إن الموازنة بين هؤلاء الثلاثة قد شغل حيزا كبيرا من النقد العربي القديم، وقد ألفت الكتب حول هذا الموضوع منها، الموازنة بين أبي تمام والبحتري للامدي وكتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي عبد العزيز الجرجاني، وإن الصراع كان عنيفا حول القيمة الفنية لعطاء كل من الشعراء الثلاثة، وقد قال عنهم ابن الأثير(هؤلاء الثلاثة هم لات الشعر وعزاه ومناته الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومحسناته، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين الى فصاحة القدماء، وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء)[٦]، ويقول عنهم الشيخ يوسف البديعي (لقد أجمع أعلام العلماء وفرسان النثر والنظم على أن هؤلاء الثلاثة ذللوا جموح الأدب وشموسها، وهم أصل الأدب وفروعه ومعدنه وينبوعه والى كلامهم تميل الطباع وعلى أبياتهم تقف الخواطر والأسماع،

(١) وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، ابن خلكان(ت٦٨١هـ):٦/٢٣، ويسند ابن الأثير هذا الرأي الى المتنبي، ينظر(المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:٣/٢٢٧).، وإن (ال) في كلمة الشاعر تدل عند النحويين على استغراق خصائص الجنس، وكأنما الشاعرية مقصورة عليه من دونهما.

(٢) وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان:١/١١٤.

(٣) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية، والمراد أنه صاحب غزل.

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:٣/٢٧١.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية:٦/٢٤٤.

(٦) المصدر نفسه:٣/٢٢٦-٢٢٧.

وثمرات البدائع منهم تجنى وذخائر البراعة من غرائبهم تقتنى[١]، وقال عنهم ابن شرف القيرواني) وأما أبو تمام الطائي فمتكلف إلا إنه يصيب، ومتعب ولكن له من الراحة نصيب... وأما البحتري فلفظه ماء ثجاج ودرٌّ رجراج ومعناه سراج وهاج على أهدى منهاج ... طبع لا تكلف يعنيه ولا العناد يثنيه لا يملُ كثيره ولا يستكره غزيره، وأما المتنبي فقد شغلت به الألسن وسهرت في أشعاره الأعين وله شيعة تغلو في مدحه وعليه خوارج تتعب في جرحه، والذي أقول: إن له حسنات وسيئات وحسناته أكثر عددا وأقوى مددا وغرائبه طائرة وأمثاله سائرة وعلمه فسيح[٢].

ومن هنا تسعى هذه الدراسة للإجابة عن سؤال وهو: أين تكمن شاعرية البحتري؟ وما هي الأسباب التي دعت النقاد للإعجاب بشعره والثناء عليه، وللإجابة على هذا السؤال لابد من وقفة قصيرة عند هؤلاء الشعراء الثلاثة.

(١) الصبح المنبىء عن حيثية المتنبي، تحقيق: مصطفى السقا ومحمد شتا: ١٧٧.

(٢) رسائل الانتقاد في نقد الشعر والشعراء، تحقيق حسن حسني عبدالوهاب: ٢٨.

المبحث الأول

أولا: أبو تمام الطائي (ت ٢٣١هـ)

وهو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي[١]، شاعر مرموق تميز بحدة الذكاء واللباقة، وكان حاضر البديهة سريع الإجابة والإقناع، يتخلص من المواقف الحرجة بذكاء ولباقة، من ذلك قصته حين مدح أحمد بن المعتصم بقوله:

اقدامُ عَمْرٍو في سَمَاحَةِ حاتمٍ في حلمِ أحنفَ في ذكاءِ إياسِ[٢]

وكان الكندي الفيلسوف المشهور جالسا في المجلس، فاعترض عليه، وقال: الأمير فوق من وصفت، فأطرق قليلا ثم رفع رأسه و أنشد:

لا تُنْكِروا ضَربي لهُ مَنْ دونَهُ مثلاً شروداً في النَّدَى و البَأس
فاللهُ قدْ ضَرَبَ الأقَلَ لنورهِ مثلاً منَ المشكاةِ والنبراسِ[٣]

فاهتز الأمير طربا، وتعجب الكندي من بداهته [٤].

أبو تمام شاعر مثقف و ذكي استوعب ثقافة عصره وأحاط بها واستقصاها ووظفها في شعره توظيفاً اختلف الدارسون والنقاد فيه: فمنهم من صار معه ومنهم من صار عليه، ومن أهم ما أُخذ عليه في شعره الصنعة البديعية والصنعة المعنوية أو الاختراع والاغتراب والتعمد في اختيار الألفاظ المبهة والصعبة[٥]، لقد أخذ شعر أبي تمام بنصيب وافر من الغموض والغرابة والخروج على ما جرى به الألف والعادة، واشتهر به حتى قيل هذا مذهب أبى تمام، شعره لا يصل الى القلب إلا بعد إتعاب الفكر وكد الخاطر، إذ كان يلجأ الى المعنى البعيد يصوغه في ألفاظ تتوالى فيها أشكال البديع وبخاصة الطباق و يلوي المعنى ليتم له الطباق، وإنه أكثر من الصور المجازية وأغرب فيها[٦]، (وإن ديوانه مشحون بالغموض والتعقيد)[٧].

---

(١) تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، ابن خلكان:١١/٢، والأغاني، لأبي فرج الأصفهاني:٣٠٣/١٦.

(٢) ديوان أبي تمام ضبط وشرح شاهين عطية: ١٦٣، عمرو بن معد يكرب: الفارس المشهور، أحنف بن قيس: زعيم تميم في البصرة وكان مشهورا بحلمه، وإياس بن معاوية: قاضي البصرة اشتهر بذكائه.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٣.

(٤) وفيات الأعيان:١٥/٢، وينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:١٩٢/١.

(٥) الأدب العربي في العصر العباسي، د. ناظم رشيد:١١٧.

(٦) شعر أبي تمام بين النقد القديم ورؤية النقد الجديد، سعيد مصلح السريحي:١٠٧-١١١.

(٧) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي: ٤٨٩.

وقد قال له (أبو العَمَيْثَل) اللغوي: يا أبا تمام لم تقول ما لا يفهم؟ فأجاب أبو تمام على الفور ولِمَ لا تفهم ما يقال[١]؟ إنه خلاف بين ذوقين، ذوق يرى أن الشعر ينبغي أن يكون واضح المعاني ولا يكد الذهن، وذوق يتلذذ بالحداثة والاغتراب، لقد لمس النقاد في شعره شيئا غير قليل من الوعورة والحوشية والغرابة، لذلك أحس النقاد بأن شعر أبي تمام يصطدم اصطداما عنيفا ومباشرا مع معايرهم النقدية، وعليه ظهرت حركة نقدية حول شعره، لقد كان شديد الإتكاء على نفسه في نظم الشعر، لذلك عدّه النقاد من أكثر الشعراء اختراعا للمعاني وابتداعا للأفكار، قال عنه ابن رشيق القيرواني: (وأكثر المولدين اختراعا وتوليدا فيما يقول الحذاق أبو تمام وابن الرومي)[٢]، ويقول عنه الآمدي: لقد كان أبو تمام يلح على البديع الى درجة أنه كان يتكلف ويتصنع فيخرج الى المحال[٣]، وإنه انحرف نحو المعنى دون اللفظ بحثا عن أفكار جديدة لم يطرقها السابقون عليه، وأنه كان يأتي بأشياء لم تألفها العرب في شعرها[٤]، وكان عبدالقاهر الجرجاني يرى أن أبا تمام قد اسلم نفسه للتكلف[٥]، ومن هنا تراوحت مواقف النقاد من شعره بين رفض لهذا الشعر لأنه خارج على طريقة العرب مخالف لها في الصياغة وبين مقبل له[٦] وقد استهجن كثير منهم استعاراته لإقترانها عندهم بالصنعة والمبالغة وما يقتضيه ذلك من خروج على مذهب الشعر[٧]، وإنه أسرف في استخدام الجناس حتى جاء الكثير منه غثا باردا متكلفا[٨]، ومنه قوله:

ذهبتْ بمذهبِهِ السماحةُ فالتوتْ فيهِ الظنونُ أمُذْهبُ أمْ مَذْهَبُ[٩]

لقد كانت استعاراته بعيدة وغريبة وفيها صعوبة تصور حقيقة العلاقات بينها، صور غير مألوفة، ومن ذلك قوله :

رقيقُ حواشي الحِلْمِ حتَّى لو أنَّهُ بِكَفِيْكَ ما ماريْتَ في أنَّهُ بَرد[١٠]

---

(١) أخبار أبي تمام:٧٢.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:٢٦٥/١.

(٣) الموازنة بين أبي تمام والبحتري:٣١١.

(٤) من حديث الشعر والنثر، طه حسين:١٠٥.

(٥) اسرار البلاغة: ١٠٧/١.

(٦) شعر أبي تمام، سعد مصلح: ٣٠١.

(٧)شعر أبي تمام، سعد مصلح: : ٢٨.

(٨) المثل السائر: ٣٤٦/١.

(٩) ديوان أبي تمام: ٤٣.

(١٠) المصدر نفسه:٤٣، لا يوصف الحلم بالرقة، إنما يوصف بالرجحان والرزانة، والحلم ضد الجهل.

ألا لا يمدُّ الدهرُ كفاً بسيّءٍ إلى مجتدي نصرٍ فتقطعُ للزندِ[١]
مازال يهذي بالمكارم والعلى حتى ظننـــا أنـــه محمــوم[٢]
تكادُ عطاياه يجـنُ جنونهـا إذا لـم يعوذها بنغمـة طالـب[٣]
للسيف بعدكَ حرقةٌ و عويلُ وعليـكَ للمجـد التليـد غليلُ[٤]
لا تَسْقِني مَاءَ المَلامِ فإنَّني صَبٌّ قـدْ استعذْبتُ ماءَ بُكائي[٥]

يقال إن ابن الأعرابي اللغوي المعروف عندما سمع قوله هذا بعث إليه غلامه ومعه كأسا ليطلب من أبي تمام أن يملأه من ماء الملام، فكان جوابه أن قال للغلام اذهب الى سيدك واتني بريشة من جناح الذل، مصداقا لقوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)[٦] فانبهر ابن الأعرابي من جوابه[٧].

غلب على شعره الطابع العقلي المنطقي المغلّف بالحكمة، كقوله :

وإذا أرادَ اللهُ نشـــرَ فضيلـةٍ طويتْ أتاحَ لهـا لسـانَ حسودِ
لولا اشتعالُ النارِ فيمـا جاورتْ ما كانَ يُعرفُ طيبُ عَرْفِ العُودِ[٨]
نَقِّلْ فؤادَكَ حيثُ شئتَ من الهَوى ما الحـــبُّ إلاّ للحبيـــبِ الأوَّلِ
كمْ منزلٍ في الأرضِ يألفهُ الفَتَى وحَنينـــهُ أبـــداً لأوَّلِ منزلِ[٩]
بيضاء تسري في الظلام فيكتسي نورا وتسرب في الضياء فيظلـم[١٠]

---

(١) ديوان أبي تمام:١١٠.
(٢) المصدر نفسه: ٢٦٨.
(٣) المصدر نفسه:٤٥.
(٤) المصدر نفسه: ٣٦٣.
(٥) المصدر نفسه:١٤.
(٦) سورة الاسراء، الآية:٢٤.
(٧) أخبار البحتري، لأبي بكر بن محمد الصولي(ت ٣٣٥هـ)، تحقيق: د. صالح الأشتر : ٣٣.
(٨) ديوان أبي تمام: ٨٥.
(٩) المصدر نفسه: ٤٦٣.
(١٠) المصدر نفسه: ٢٦٧.

وأخيرا نستشهد ببيت له حيّر شراح شعره أمثال المرزوقي والتبريزي، إذ يقول:

وَلِهتْ فأظلمَ كلُّ شيءٍ دونَها وأنارَ منها كلُّ شيءٍ مُظلمِ[1]

غير أن النقاد مع احساسهم بخروج أبي تمام على معايير الشعر لديهم أحسوا بعظمة شعره وأصالته، وكانوا يدركون أنه صاحب مدرسة في الشعر، إلا أن هذه العظمة وهذه الأصالة لم تسعفاه في الإلحاق بالبحترى حسب رأي النقاد قديما وحديثا.

ثانياً: المتنبي (ت٣٥٤هـ)

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجُعفي الكِنْدي، ولد سنة ٣٠٣هـ في الكوفة، وقتل سنة ٣٥٤هـ عند عودته من بلاد فارس على يد فاتك الأسدي، يدورمعظم شعره حول العظمة والطموح والاعتداد بالنفس[2]، وهو القائل:

أيَّ مَحَـــلٍّ أَرْتَقي أَيَّ عَظـــيمٍ أتَّقي
وَكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّـ ـهُ وَمَا لَـمْ يَخْلُقِ
مُحْتَقَـــرٌ فـي هِمَّتي كَشَعْرَةٍ في مَفْرِقِي[3]

لم يحظ شاعر من شعراء العرب بالاهتمام والدراسة قديما وحديثا بقدر ما حظي به أبو الطيب المتنبي، فقد شغل النقاد في عصره وبعد عصره، لقد خلق ضجة كبيرة واغنى النقد والأدب عبر وفرة شروح ديوانه وكثرة الدراسات والبحوث المعقودة عن شعره وسيرته، فهو مالئ الدنيا وشاغل الناس[4]، فالخصومة حول المتنبي تختلف عن الخصومة حول أبي تمام، فأبو تمام صاحب مذهب شعري خاص رأى فيه الكثيرون افسادا للشعر وخروجا به الى الصنعة، أما الخصومة حول المتنبي لم تكن حول مذهب شعري خاص، وإنما كانت خصومة حول شاعر أصيل قد حطم المذاهب واستقل دونها جميعا، لذلك ركدت الخصومة حول أبي تمام بظهور المتنبي، إذ انشغل النقد في القرن الرابع الهجري بالمتنبي وشعره، وأن ظهوره كان

(١) ديوان أبي تمام: ٢٩٤، يذكر المرزوقي أكثر من توجيه لهذا البيت في أثناء شرحه له، في حين يشرح التبريزي البيت بمعنى مخالف لما ذهب أليه المرزوقي.(ينظر شرح مشكل أبيات بي تمام المفردة، المرزوقي:٢١ و ديوان أبي تمام بشرح التبريزي:٢٤٨/٣.

(٢) ينظر ترجمته: وفيات الأعيان:١٢٠/١، ويتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للثعالبي(ت ٤٢٩هـ):١١٢/١.

(٣) شرح ديوان المتنبي، عبدالرحمن البرقوقي: ٨١/٣.

(٤) الأدب العربي في العصر العباسي، د. ناظم رشيد:٢٢٦.

مصدر حيرة كبيرة للذوق والنقد معا، فهو شاعر يجمع بين القديم والحديث ويغوص على المعاني غوصا عميقا، ويضمن شعره ثقافة واسعة يمزج فيها التشيع والتصوف والفلسفة[١]،

لقد صدم المتنبي الأذواق مرتين، مرة بشخصه المتعالي المتعاظم – إذ كان في شعره متكبرا طموحا يستغل أغلب قصائده بمطلع حكمي يشيد فيه بنفسه مفتخرا متعاليا الى أعلى المراتب– ومرة بجرأته في الشعر والمبالغة التي تمس الدين وتستخف بأصول اللياقة والعرف في مخاطبة الممدوحين، فأراد خصومه تحطيم شعره انتقاصا من شخصه وتعاظمه وتعاليه، إنهم كانوا يعرفون أنه شاعر كبير لا يجارى، لذلك يمكن القول: أن النقد الذي دار حول المتنبي كان في أكثره هجوما على المتنبي الانسان من خلال شعره، لقد كان المتنبي معتادا بنفسه فخورا، لا يطأطيء رأسه لأحد مهما كانت منزلته وهذه ظاهرة واضحة في شعره ولاسيما في مديحه، فكان يوزع المدحة بينه وبين الممدوح[٢]، وخير مثال على ذلك قصيدته التي يعاتب فيها سيف الدولة ويحذره بالرحيل:

وَاحَــرَّ قَلْبَاهُ ممَّــنْ قلبُــهُ شَبِمُ وَمَنْ بجِسْمِي وحَالي عِنْدَهُ سَقَمُ
يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إلاّ فــي مُعامَلَتِي فِيْكَ الخِصَامُ وَأَنْتَ الخَصْمُ والحَكَمُ
أَنَا الّذي نَظَرَ الأعمــى إلى أَدَبِي وَأَسْمَعَتْ كَلماتي مَنْ بِهِ صَمَمُ
أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِها وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَّاهــا وَيَخْتَصِمُ
فَالخَيلُ واللَّيلُ والبيــــداءُ تَعْرِفُنِي والسَّيْفُ والرُّمْحُ والقِرْطَاسُ والقَلَمُ[٣]

ومن نماذج فخره:

لاَ بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِي وبِنَفْسِي فَخَرْتُ لا بِجُدُودي
وَبِهِمْ فَخرُ كُلِّ مَنْ نطَقَ الضَّا دَ وعَوْذُ الجاني وغَوْثُ الطَّرِيدِ
إنْ أَكُنْ مُعْجَباً فَعُجْبُ عَجِيبٍ لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِه مِنْ مَزِيدِ
أَنَا تِرْبُ النَّدَى وَرَبُّ القَوافي وَسِمامُ العِدَا وَغَيْظُ الحَسُودِ
أَنَا مِنْ أُمَّةٍ تَدارَكَها اللَّــــ ــهُ غَرِيبٌ كَصالِحٍ في ثَمُودِ[٤]

وقد كان المتنبي حكيما أكثر من كونه شاعراً وله أبيات متناثرة في قصائده أودعها في الحكمة الشيء الرائع، إذ كان ذا ثقافة عالية حصل عليها خلال تجربته الحياتية، وقد جمع

(١) الفن ومذاهبه في الأدب العربي، د. شوقي ضيف:٣٠٩.
(٢) الأدب العربي في العصر العباسي، د. ناظم رشيد:٢٤٣.
(٣) شرح ديوان المتنبي، عبدالرحمن البرقوقي: ٤/٨٠ –٨٣.
(٤) المصدر نفسه: ٢/٤٦–٤٨.

أحد الباحثين زهاء خمسمائة وخمسن وخمسون بيتاً تجري مجرى الأمثال[١]، وقد جاءت حكمه ضمن القصائد متلاحمة مع معانيها، وكانت ركائز جيدة تدعم معانيه وأفكاره، ومن حكمه قوله:

إذا أنْتَ أكْرَمْـتَ الكَـريمَ مَلَكْتَهُ وَإنْ أنْتَ أكْرَمْتَ اللَّئيمَ تَمَرَّدا[٢]

أعَزُّ مكانٍ في الدُنَى سَرْجُ سَابِحٍ وَخَيْرُ جليسٍ في الزَّمانِ كِتَابُ[٣]

وَمَنْ يَهُنْ يَسْهَـلُ الهـوانُ عَلَيْهِ مَـا لجُـرْحٍ بميِّـتٍ إيلامُ[٤]

وعلى الرغم من شاعرته الكبيرة إلا أنه لم يسلم من سهام النقد الذي وجه إليه والى شعره، فمنهم من وصفه بأنه (شاعر منافق، يمدح حينا ويذم حينا بدافع خاص، ونفع ذاتي، فرائده في المدح والذم إرضاء نفسه، وتحقيق مآربها... وإنه فخور بنفسه، مفرط الزهو والادعاء، فلا تكاد تجد له قصيدة إلا يثني فيها على نفسه، حتى حجب غروره وادعاؤه عن عينه عيوبه الكثيرة ومساويه الجمة...وإنه حقود، ملأ الحقد نفسه، فأفسد عليه حياته، فلا تراه إلا ساخطا على الدنيا، بَرِماً بالناس، ناقما على أهل النعمة والجاه... في ديوانه ما يدل على الاستهتار وخدش العقيدة)[٥]، وقال عنه الثعالبي: (وبعض المآخذ التي أخذوها عليه صحيح لا شبهة في أنه أخطأ فيه الجادة كالتعقيد اللفظي والمعنوي، واستعمال الغريب والوحشي، والعدول عن سنن القياس، وقبح بعض المطالع وبعض المقاطع، واستعمال اللغات المهجورة، وأمثلة ذلك كله ميسورة قريبة التناول)[٦]، لقد قيل الكثير في التقليل من شأن المتنبي وشعره، وربما يعود السبب أساسا الى تعالية وتفاخره الذي انعكس في شعره.

(١) ينظر: حكم المتنبي الباهرة، عبود أحمد الخزرجي: ٢٣-٧٤.

(٢) شرح ديوان المتنبي:١١/٢.

(٣) المصدر نفسه:٣١٩/١.

(٤) المصدر نفسه:٢١٧/٤.

(٥) المتنبي وشوقي وأمارة الشعر، عباس حسن:٣٦٣-٣٧٠.

(٦) أبو الطيب المتنبي وماله وما عليه، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد: ٢٧.

المبحث الثاني

أبو عبادة البحتري (ت ٢٨٤هـ)

فهو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، الملقب بالبحتري نسبة الى عشيرته الطائية بحتر[١]، كان شاعرا معتدلا يجمع بين القديم والحديث، وكان ذو خيال واسع جاء شعره جميل التعبير واضح المعنى سهل الألفاظ سلساً من حيث الموسيقى والأسلوب الشعري، دقيقا في الوصف والتصوير، وإن شعره جاء بعيدا عن التعقيد والمبالغة، وكانت استعاراته قريبة، ولم يكن مولعا بالبديع والمنطق والفلسفة كأبي تمام، مال في مذهبه الشعري الى الإيجاز واللمح وابتعد عن التطويل والتكلف، ومبدؤه في ذلك:

كلّفْتُمُوْنَـــا حـــدودَ منْطقِكُمْ في الشّعر يُغْني عنْ صدقه كَذِبُهْ
ولمْ يكنْ ذو القُروحِ يَلْهَجُ بالـ مَنْطقِ ما نوعُهُ وما سَبَبُهْ
والشّعرُ لمـــحٌ تكفي إشارتُهُ وليسَ بالهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهْ[٢]

إنّ البحتري مرهف الحس، ذا موقف متميز من شعره ووسائل التعبير فيه، وإنّ صياغته لم تفسده فلسفة ولا منطق، فهو لا يريد أن يكون الشعر فيه فلسفة أو منطقا، ويرى أن الشعر المقبول/ الرائع هو الذي يستعمل الأسلوب الواضح الذي لا تعقيد فيه، إنه يستمد معانيه من وحي الخيال وجمال الطبيعة لا من قضايا العلم والفلسفة، وقد حظي البحتري بإهتمام معاصريه واعجابهم، ورأوه من المطبوعين وعلى مذهب الأوائل ولم يفارق عمود الشعر العربي المعروف، وعدّوه مثالا في رقة المعنى وجودة الصياغة، ووازنوا بين شعره وشعر أبي تمام والمتنبي[٣]، ونتج عن ذلك مجموعة من المؤلفات التي جسّدت هذه الخصومة، ومجموعة من الآراء النقدية التي قيلت في شعر البحتري خصوصا، إذ قيل في شاعريته واقتداره في شعره الكثير، ومن ذلك: ما وصفه أبوتمام بأنه أمير الشعراء من بعده[٤]، وأن ابن المعتز يجعله أشعر الناس في زمانه، إذ يقول: (لو لم يكن للبحتري إلا قصيدته في وصف إيوان كسرى لكان أشعر الناس في زمان)[٥]، وفي معرض الموازنة بينه وبين أبي تمام والمتنبي، قال عنه

---

(١) تنظر ترجمته: وفيات الأعيان، للابن خلكان: ٢١/٦، و معجم الأدباء، ياقوت الحموي: ٢٤٨/١٩-٢٥٨، والأغاني، لأبي فرج الأصفهاني:٢٩/٢١، ٣٧.

(٢) ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي: ٢٠٩/١.

(٣) البحتري بين نقاد عصره، صالح حسن اليظي:٧١-٧٣.

(٤) أخبار البحتري، أبو بكر الصولي، تحقيق، د. صالح الأشتر، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق،١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م:٦٩.

(٥) المصدر نفسه: ٧٢-٧٣.

المعري: (إنما الشاعر البحتري)[١] إنها إشارة جلية الى أسلوبه الشعري وتفوقه الفني، وإن (الـ) في كلمة الشاعر تدل عند النحويين على استغراق الجنس، وكأنما الشاعرية مقصورة عليه من دونهما، وقال عنه الآمدي:(... انفرد بحسن العبارة وحلاوة الألفاظ وصحة المعاني، وإنه كان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام)[٢]، ووازن بينه وبين أبي تمام وتوصل الى حكم نقدي مفاده: (إن كنت ممن يفضلون سهل الكلام، ويؤثرون صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ و كثرة الماء والرونق، فالبحتري أشعر عندك ضرورة، وإن كنت تميل الى الصنعة و المعاني الغامضة التي تستخرج بالغموض وكدّ الفكر فأبوتمام عند أشعر لا محالة)[٣]، وقال عنه القاضي عبدالعزيز الجرجاني: (وإذا أردت أن تعرف موقع اللفظ الرشيق من القلب وعظم غنائه في تحسين الشعر، فتصفح شعر جرير وذي الرّمة من القدماء والبحتري من المتأخرين)[٤]، وقال عنه عبدالقاهر الجرجاني: (وإنك لا تجد شاعرا يعطيك في المعاني الدقيقة من التسهيل والتقريب وردّ البعيد الغريب ما يعطي البحتري في هذا مبلغه)[٥]، فالبحتري فالبحتري قوي الطبع سلس العبارة في شعره عذوبة وموسيقى تتغلغل في جمله الشعرية، وقد لخص ابن الأثير هذا في قوله: (وأما أبو عبادة البحتري فإنه أحسن في سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر فغنى، وقد حاز طرفيّ الرقة والجزالة على الإطلاق) [٦]، ويصفه ابن رشيق القيرواني بأنه: (شيخ الصناعة وسيد الجماعة، وإنه أملح صنعة وأحسن مذهبا في الكلام)[٧]، ويقول عنه الثعالبي:(طبع البحتري يضرب به المثل، لأن الاجماع واقع على أنه في الشعر أطبع المحدثين والمولّدين، وإن كلامه يجمع بين الجزالة والحلاوة والفصاحة والسلاسة)[٨] وتفرد بألقاب منها إنه صاحب سلاسل الذهب[٩]، قيل عنه أنه وصاف،

(١) وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان: ٢٣/٦.

(٢) الموازنة بين أبي تمام والبحتري:١٨ –١٩.

(٣) المصدر نفسه: ٣٥.

(٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم وعي محمد البجاوي:٢٤.

(٤) أسرار البلاغة، علق حواشيه: أحمد مصطفى المراغيلي محمد البجاوي:٢٤.

(٥) المصدر نفسه:١٦٨.

(٦) المثل السائر:٣٦٩/٢.

(٧) العمدة في محاسن الشعر: ١٦٠/٢.

(٨) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل: ٢٢٤–٢٢٥.

(٩) وفيات الأعيان:٢٤/٦.

والوصف هو الغرض الذي سما بشعره ومنحه قدرا من التميز، وأكسبه الشهرة، ولفت إليه أنظار الدارسين[١]، ومن جميل وصفه قوله في وصف بركة المتوكل:

يا مَنْ رأى البِرْكَةَ الحسناءَ رُؤْيَتَها والآنِسَاتِ إذا لاحتْ مَغَانِيها
تَنْصَبُ فيها وفودُ المـــاءِ معجلةً كالخيلِ خارجةً من حبلِ مُجْرِيها
كأَنَّما الفضةُ البيضــاءُ سائلـــةً من السبائكِ تَجْرِى في مَجَاريها
إذا النجــومُ تَــراءتْ في جوانبها ليلاً حسبتَ سماءً رُكِّبَتْ فيها[٢]

في هذا النص يمتلك البحتري موهبة الموسيقار والرسام الى جانب رهافة حس الشاعر وسعة خياله واقتداره على اللغة[٣].

على العموم إن أغلب النقاد افتتنوا بشعر البحتري وعدّوه أطبع المحدثين وقدموه على شعراء عصره[٤]، وقد اختلف الدارسون في كنه جودة شعر البحتري وسرّ جماله، وأسباب حسنه وتفوقه، ففي شعره صنعة خفية نتذوق طعمها ونحس بنكهتها، وإن شعره يهز السامعين ويؤثر فيهم، فهو ذو أسلوب واضح لا ظلمة فيه ولا تعقيد، اختار الألفاظ المستعملة وتجنب الحوشية الثقيلة، وأحبّ الإيجاز في شعره، لأنه يرى الاطالة سمة الخطابة لا الشعر[٥].

يقول في مذهبه الشعري:

ومعانٍ لو فَصّلتها القــوافي هجَّنت شعر جَرولٍ ولبيد
حُزنَ مستعمل الكلام اختياراً وتجنبــن ظلمة التعقيد[٦]

في الحقيقة أن جمال شعر البحتري يظهر أكثر ما يظهر في موسيقاه الشعرية، ويؤكد الدكتور عبدالله الطيب هذا الرأي عن موسيقى البحتري في قوله: (أن البحتري أرق الشعراء المحدثين جميعهم، وأطبعهم وأسلسهم من غير خروج عن مذهب المتانة في السبك، واتباع المنهج الفصيح في تقعيد الكلام، ولكامله رنين قل أن نجد نظيره عند غيره من الشعراء، نغم رنان تنساب معه الألفاظ انسيابا... ولن تجد شاعرا يفتنّ كما يفتنّ البحتري في استغلال الثلاثيات واستعمال المصادر المنونة، وألفات المدّ، وحروف الإشباع، كل ذلك في سلاسة

(١) شعر البحتري دراسة فنية:١٥٧.
(٢) ديوان البحتري:٢/ ٢٤١٦-٢٤١٨.
(٣) البحتري بين نقاد عصره، صالح حسن اليظي:٩٥.
(٤) من حديث الشعر والنثر، طه حسين: ١١٧، و ينظر الأدب العربي في العصر العباسي، العباسي، د. ناظم رشيد:١٣٠، والفن ومذاهبه، د. شوقي ضيف:١٩٠.
(٥) البحتري، أحمد أحمد بدوي: ٤٩.
(٦) ديوان البحتري:٦٣٧/١.

وخفة ورشاقة)[١] لقد اهتم البحتري بكل ما يخدم موسيقاه ويقويها وقد أعانه على ذلك طبعه المترنم وشاعريته القوية، قيل عنه: إنه أراد أن يشعر فغنى[٢]، فالايقاع الموسيقي هو العنصر الحاسم في شعرية القصدة، إذ هو الذي يميز الكلام الشعري عن الكلام النثري، وقد استعان البحتري بالمحسنات البديعية واهتم بها، إذ هي التي أعطت شعره قيما موسيقية صوتية أضافت على ألفاظه تلك الموسيقى الراقصة، فالموسيقى هي أهم مقومات صنعته[٣]، وهو يحرص على اشاعتها في شعره كله من خلال الألوان البديعية، لاسيما تلك التي تخلق الموسيقى في شعره، كالتكرار، ورد العجز على الصدر والتقسيم والجناس والطباق، وكل ما يخدم موسيقاه ويقويها، وقد أعانه على ذلك طبعه المترنم.

أولا: التكرار

يعد التكرار من أبرز الظواهر الأسلوبية التعبيرية في الشعر لما له من دور واضح في خلق الإيقاع الموسيقي الداخلي في النص، فالتكرار يقوم بوظيفتين: جمالية إيقاعية، وإيحائية دلالية، وترى نازك الملائكة: (أن التكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا ذو دلالة نفسية وانفعالية)[٤].

وقد ورد التكرار بأشكاله المختلفة في شعره، مستغلا طاقاته الفنية والموسيقية في خدمة النص الشعري، ومن أشكاله البسيطة تكرار الحروف الذي برز في قصيدته التي وصف بها إيوان كسرى، إذ يقول:

صُنتُ نفسي عمّا يُدَنِسُ نفسي وترفعت عن جـدا كلّ جِبْسِ
وتماسكتُ حينَ زعزعني الدّهرُ إلتماساً منهُ لتَعسي ونَكسي[٥]

هذه القصيدة المشهورة بالسينية في وصف أيوان كسرى يكرر فيها البحتري بعض الأصوات بصورة يسترعي فيها الإنتباه، ولاسيما حرف السين الذي يتكرر على مستوى القصيدة(١٠٩) مائة وتسع مرات، والتي استعملها البحتري رويا للقصيدة، فلم يكن مجيئه مكررا على هذه الشاكلة اعتباطا وعفو الخاطر، إذ نلمح فيه بعدا دلاليا عميقا يتناغم مع الجو العام للقصيدة، هذا الجو المفعم بالشكوى المرّة والألم والحزن، وأما من الناحية الموسيقية فليس بخاف الدور الفاعل والمؤثر الذي تركه تكرار هذا الحرف، فالسين صوت احتكاكي أسناني لثوي مهموس مرقق، وهو إيقاع ذو نغمة رقيقة هادئة يتعاضد مع الإيقاع الموسيقى العام للكشف عن

(١) المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها: ٢٦٨/١.
(٢) المثل السائر:٣٦٩/٢.
(٣) شعر البحتري دراسة فنية، د. خليفة الوقيّان:٢١٣.
(٤) قضايا الشعر المعاصر:٢٧٩.
(٥) الديوان: ١١٥٢/٢-١١٥٤.

الجانب الدلالي المتمثل في الأسى والحزن والشكوى التي يريد الشاعر البوح عنها، فالإمكانات الصوتية لهذا الحرف تساعد الشاعر على تصوير عواطفه وأحاسيسه، فالبحتري لا يكتفي بالتوافق الصوتي بين بعض الكلمات أو بعض الحروف في بعض الأبيات، بل هو يعمم هذا التوافق في القصيدة كلها، وإن هذه التوافقات الموسيقية تظهر في القافية المطرزة التي تجعلك تسمع الصوت من جهة وتبصره من جهة أخرى، كما يقول الدكتور شوقي ضيف(١). لقد بنيت القصيدة على روي السين المكسورة، وإن حرف السين فيه همس وهيمنة وفيه من المشاعر الخفية ما يجعل الشاعر يقف هذا الموقف وكأنه يناجي نفسه من جهة، ويحاول أن يثير هذه المناجاة من جهة أخرى، إنه يريد أن يبث بؤسه ونحسه الى من قد يشاركه فها(٢).

ويؤدي تكرار بعض الكلمات وظيفة نفسية شعورية إزاء موقف من مواقف الحياة فـ(الشاعر يكرر ألفاظا بعينها قد تكون أسماء أو أماكن أو ما شابه ذلك لدلالة نفسية شعورية يكون التكرار بؤرة تلك الدلالة النفسية الشعورية أو قد يكون مركز ثقلها)(٣)، ومن ذلك قوله في مدح محمد بن صالح الهاشمي:

أهلاً وسهلاً بالأميـرِ محمـد بالمقبلِ الموفي بدهـر مقبل
أهلا وسهلا بابن صالح الذي بذّ الملـوك برأفة وتفضُل
بالهاشمي الصالحي المكتسى من فضل آصرة النبي المرسل(٤)

كرر الشاعر عبارة (أهلا وسهلا) مرتين موحية بفرحه وسروره بقدوم الآمير الهاشمي، ومكانته السامية في قلب الشاعر، وتكرار هذه العبارة في بداية البيتين فيه موسيقة منسجمة مع القافية وموحية بالتعظيم والتفخيم له(٥).

ثانيا: ردّ العجز على الصدر

من الفنون البديعية التي اعتنى بها الشعراء عناية خاصة في تزيين شعرهم، وتبرز أهميته في تماسك البيت الشعري ووحدته، إذ (يكسب البيت الذي فيه أبهة، ويكسبه رونقا وديباجة ويزيده مائية وطلاوة)(٦)، وقد أكثر البحتري من استخدام هذا الضرب من البديع، لأنه اكتشف فيه مزية موسيقية يحققها ترديد بعض الكلمات، ومن ذلك قوله:

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي:٢٠٠.
(٢) السينية في وصف إيوان كسرى، جريس دبيان، مجلة مؤسسة المواكب: ١٢٧.
(٣) أسلوب التكرار بين تنظير لبلاغيين وابداع الشعراء، شفيع السيد: ١٤.
(٤) الديوان:٣/١٧٩٦-١٧٩٧.
(٥) دور التكرار في موسيقى شعر البحتري، وسيم حميد القبلاوي:٩٢.
(٦) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٣/٢.

كَملـــتْ لهـــا أربعٌ بعـدَ عَشْرِ ومدى البَدْرِ أربعٌ بعدَ عَشْرِ
كـ(ابنِ بـــــدرٍ) وأينَ ثـــانٍ فَنَثْني إصبعاً باعتقادِه كابنِ بَـــدْرِ؟
والجَـــوادُ الأغـــرُّ مِثْلُكَ لا يَمْنَعُ مثلي من الجَوادِ الأغَرِّ[١]
إنْ يكنْ في الأنامِ سعدُ سعـــودِ بشرياً فأنتَ سعـدُ السُّعـــودِ[٢]
فدعِ الهوى أو مُتْ بدائك إنَّ مِنْ شأنِ المُتَيَّمِ أنْ يموتَ بـــدائهِ[٣]

في هذه الأبيات الشعرية يعمد البحتري الى انتقاء المفردات وتركيبها على شكل خاص من خلال ردّ العجز على الصدر، ليلائم بين الصوت والمعنى ليعبر عن مضمونه الشعري الذي يسعى الى تجسيده، وتحويل أثره الى المتلقي.

ثالثا: التقسيم:

هو أن يذكر متعدِّد، ثم يضاف الى كل من أفراده ما له على جهة التعيين[٤]، إنه يشيع الموسيقى في مفاصل القصيدة، حيث يجزأ البيت الواحد الى عدّة أقسام صغيرة، أو وحدات موسيقية متساوية في الغالب، وتتضافر هذه الوحدات في النمو بالمعاني وتوكيدها، ومن ذلك قوله في وصف دمشق ومدح المتوكل حين انتقل اليها:

فلست تبصر إلا واكفا خضـــلا أو يانعـــا خضرا أو طائرا غردا
يا أكثر الناس احسانا وأعرضهم سيبا وأطولهم في المكرمات يدا[٥]

إنه يحاكي الانعالات والعواطف، والتي لا تظهر لو لا مثل هذا التركيب المؤثر.

وقوله:

وما رأيناك إلا بانيـــا شرفا او فاعلا حسنا أو قائلا ســددا
والناس ضربان، أما مظهر مقة يثني بنعمى وإما مضمر حسدا[٦]

وقوله:

ألام على هواك وليس عدلا إذا أحببت مثــلك أن ألاما
لقد حرمتي من وصلي حلالا وقد حللت من هجري حراما[٧]

وقوله:

---

(١) ديوان الحتري:٢/٩٧٠.
(٢) المصدر نفسه:٢/٨١٢.
(٣) المصدر نفسه:١/٢٣.
(٤) جواهر البلاغة: ٤٠٤.
(٥) ديوان البحتري:٢/٧١٠.
(٦) المصدر نفسه:١/٧١٨-٧١٩.
(٧) المصدر نفسه:٣/٢٠٠٨.

ذاك وادي الأراك فاحبس قليلا مقصرا من صبابة أو مطيلا
قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا أو معينا أو عاذرا أو عذولا[١]

إن تتابع القوافي داخل الأبيات من شأنه أن يجعل السامع يقع تحت تأثير الموسيقى التي تشدّ انتباه كل من يستمع إليها.

رابعا: الطباق:

وهو الجمع بين لفظتين متقابلتين في المعنى [٢]، وهو نوع من أنواع الفنون البديعية التي توضح قدرة الشاعر على إظهار مشاعره مشحونة بالحركات الثنائية الضدية، قال الباقلاني في مطابقته: (وتصنعه للمطابق حسن، وتعمقه في وجوه الصنعة على وجه طلب السلامة والرغبة في السلاسة، فلذلك يخرج سليما من العيب في الأكثر)[٣] وقد أسرف فيه، وإنه طابق بعيدا عن التعقيد فيه، ومن ذلك قوله:

ألجرمٍ جنيتُ حرمتِ وصلي أم لذنبٍ أتيتُ حللتِ هجري؟
مَلَكٌ ما تغُبُنا منْ نداهُ نَفَحاتٌ تَغدو علينا وتسري
متلفٌ مخلفٌ يُخافُ ويُرجى لكلا حالتينِ نفعٍ وضرٍّ[٤]

وقوله:

لي حَبيْبٌ قدْ لجَّ في الهَجْرِ جِدَّا وأعـادَ الصُّـــدودَ منْهُ وأبْدَا
ذو فُنُونٍ يُريكَ فـي كُلِّ يومٍ خَلَفاً مـن جفائــه مُسْتَجَدَّا
يَتَأَبَّى منعاً، وينعِمُ إسْعا فاً، ويدنو وصْلاً، ويَبْعُدُ صدَّا
أغتدي راضياً وقد بِتُّ غضبا نَ، وأُمْسي مَوْلىً، وأصبحُ عَبْدَا
خلقَ اللهُ (جعْفَراً) قَيِّمَ الدُّنْـ يا سداداً، وقَيِّمَ الدِّينِ رُشْدَا
أكرمُ النَّاسِ شيمةً،وأتَمُّ النَّا سِ خَلقاً، وأكثرُ النَّـاسِ رِفْدَا[٥]

تتآزر الفنون البديعية في صياغة هذا النص، إذ نلحظ ما أحدثه الطباق من نغم وموسيقى زادت النص روعة وجمالا، جاء الإيقاع الموسيقي نتيجة لاعتماد الشاعر على أكثر من لون بديعي، فاعتمد على الطباق والجناس والتصريع وردذ العجز على الصدر، وكل هذا جاء في آن واحد، إن الصنعة البديعية واضحة في هذا النص لما شاع فيها من موسيقى بُثت

(١) المصدر نفسه:٣/٢٠١٣.
(٢) جواهر البلاغة: ٣٩١.
(٣) اعجاز القرآن: ١٦٦.
(٤) ديوان البحتري:٢/١٠٨٠.
(٥) الديوان:٢/٧١١.

في ثناياها بحذق، ولما تضمنت من تطريز بديعي مستحب بعيد عن الاسراف، لقد استوفى فيها كل مقومات التفوق في الموسيقى وفن الصوت.

خامسا: الجناس

لقد شغف البحتري بالجناس كثيرا، ويقول عنه الباقلاني (فإذا وقع الجناس في كلامه كان في الأكثر حسناً رشيقاً وطريفاً جميلا)[١] وكانت مهمة الجناس عنده بالدرجة الأولى التلوين الصوتي والتطابق الدلالي، ومن ذلك قوله:

العيشُ في داريا إذا بردا والرّاح نَمزجها بالماءِ من بردى[٢]

يجانس البحتري في هذا البيت الشعري بين لفظتي (بردا) و (بردى)، الأولى بمعنى البرودة المستحبة لهذا المكان في الصيف، والثانية اسم لنهر في الشام له مكانة في قلب الشاعر، فعلى الرغم من تباين مدلولهما في الواقع، إلا أن التطابق الدلالي بينهما– بين ركني الجناس– يتحدان في نفس الشاعر إحساسا وعاطفة، ومن هنا تأتي شاعرية البحتري في المزج والجمع بين العناصر المتباعدة، وتحقيق الوحدة فيها من خلال عاطفته واحساسه.

وقوله: فإذا ما السحاب كان رُكاماً فسقى بالرباب دار الرباب[٣]

وقوله: وإذا أُنكرَ البخل من القو مِ، فأنتَ المعروفُ بالمعروفِ

يستخدم الشاعر لفظ (المعروف) في معنيين مختلفين، ففي الأول جاءت بمعنى المشهور، والثاني جاء بمعنى معالي الأمور وأفضلها، فالنص يتعلق بحس البحتري المرهف وعمق معجمه اللغوي في البحث عن تلك الألفاظ التي تحمل جرسا صوتيا يناسب المعنى ويتناغم مع الألفاظ الأخرى في السياق للتعبير عن مضمونه الشعري، أو فكرته التي شغلته.

ولاشك أن هذه الجوانب البديعية التي أشرنا إليها تشكل الموسيقى الداخلية، وإن هذه الموسيقى هي الصدى الحقيقي للحالات النفسية التي كان يمرّ بها الشاعر، على العلوم فإن لغته واضحة سهلة، اعتدل في استخدام المحسنات البديعية، اهتم بالموسيقى كثيراً من خلال الجناس و الطباق والكلمات ذات الجرس العالي، وفي ذلك يقول الدكتور شوقي ضيف: (إنه يطلق الموسيقى ويدعها تؤثر في أعصابنا كما يريد ويشتهى)[٤].

---

(١) اعجاز القرآن:١٦٦.

(٢) ديوان البحتري:٢/٧٠٩.

(٣) المصدر نفسه:١/٨٤، الرباب: السحاب الأبيض

(٤) الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ١٩٩.

سادسا: الازدواج

كان البحتري حريصا على أن تكون النسبة بين اللفظين المرتبطين صحيحة، إذ كان يعمل على أن يكون الازدواج في شعره مستقيما وفقا لما يرضاه والذوق العربي، ومن ذلك وصفه لسحابة ممطرة فوق بركة المتوكل:

ورنة مثل زئير الأسد ولمع برق كسيوف الهند

جادت بها ريح الصبا من نجد فانتثرت مثل انتثار العقد(١)

جعل الرنّة للرعد، والزئير للأسد، واللمعان للبرق، وصفة السيف للهند، والانتثار للعقد، فالازدواج هنا ورد على وجهه الصحيح، لأنّ كلّ كلمة يتبعها ما يشاكلها (٢).

مشاكلة الألفاظ للمعاني

كما لا بد من الإشارة الى تفوق البحتري في مشاكلة ألفاظه للمعاني التي يريد أن يعبر عنها، إذ كان يشاكل بين ألفاظه ومعانيه مشاكلة دقيقة، فمتى كان اللفظ جزلا كان المعنى كذلك، فهو أبرع شاعر عباسي يصور هذا الجانب ، فقد عرف بمهارة واسعة فيه، يصف ابن الأثير ألفاظه (كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين بأصناف الحلى)(٣) فألفاظه عليها رشاقة وأناقة، إذ يقول:

واللفظُ حلي المعنى وليس يريـ ك الصفر حسنا يريكه الذهب(٤)

فالبحتري كان يعرف كيف يلائم بين الألفاظ والمعاني وينسقها في قالب يمنحها التميز الذي يريده، والذي يبدو في وصفه للذئب بقوله:

يُقَضقِضُ عُصلاً في أسرّتها الرّدى كقَضقَضَةِ المَقرُورِ أرعدهُ البَردُ(٥)

يرسم صورة مرعبة للذئب فالذئب يصك أسنانه المعوجة المميتة ببعضها جوعاً وغضباً، فتسمع صوتها تماما كما تسمع صوت اصطكاك المصاب بالبرد، وقد ارتجف جسمه وارتج حنكه(٦)، إن هذه الصورة تبين مدى تفنن البحتري في اختيار اللفظ للمعنى، سواء على صعيد اللفظة المفردة أو على صعيد العبارة الشعرية.

---

(١) ديوان البحتري: ٥٦٧/١.

(٢) البحتري بين نقاد عصره: ٢٢٨.

(٣) المثل السائر:٢٥٢/١.

(٤) ديوان البحتري:١٢٦/٢.

(٥) المصدر نفسه: ٧٤٣/٢.

(٦) البحتري بين نقاد عصره: ٣٣٦.

كما أحسن البحتري في جانب الموسيقى الداخلية وما تستبعه من المشاكلة بين الألفاظ والمعاني والتوافق الصوتي بين الحروف والحركات والكلمات، وكأنه يوفر وقته جميعه للصوت[١]، فالبحتري شاعر ذو حس جمالي يتعامل مع لغته الشعرية وموضوعاته جميعا من خلال الاحساس بها وتذوقها تذوقا جماليا، وهذا ما يفسر لنا كيف أن جمال الصياغة كان هدفا وقيمة وغاية لديه في كافة أغراضه الشعرية[٢]، وربما تشكل قصيدته في وصف إيوان كسرى أفضل نموذج للموسيقى التصويرية، إذ يقول:

صُنتُ نفسي عمّا يُدَنسُ نفسي وترفعــت عـن جدا كلّ جبس
وتماسكت حين زعزعني الدّهرُ إلتماسا منـــه لتعسي ونُكسي
وكأنّ الزمــان أصبــح محمولا هـــواه مـــع الأخـسِّ الأخسِّ
حَضَرَتْ رَحْلـــيَ الهمُومُ فوجَّهْ تُ الى أبيــضِ المدائنِ عُنسي
أتسَلَّى عـن الحُظُـــوظِ وآسَى لمَحَلٍ من آلِ ساسانَ دَرْسِ[٣]

يحشد البحتري طاقات صوتية كبيرة في هذا النص، لقد كان مدركا لأهمية الطاقة الصوتية المخزونة في الألفاظ، إذ إنذ الخطاب الشعري قائم على الصوت به تبدأ القصيدة نسج خيوطها.

لقد استطاع البحتري أن يلائم بين الكلمات في الجرس وبين الحروف والحركات ملائمة رفعته الى مرتبة موسيقية عالية، وكأنّما أُعطيت الموسيقى الشعرية بكل مفاتحها واسرارها للبحتري، فكان يعرف كيف يناغم بين الكلمات، وكيف يجمعها جمعا متناسقا، فتخرج موسيقية رقيقة مؤثرة تدخل السرور في القلب وتؤثر في المتلقي.

لاشك في أن كل ما أشرنا إليه يتآزر في بيان مكمن شاعرية البحتري الذي سرق الأضواء لنفسه، واستطاع أن يحصل على لقب الشاعر في منافسته مع أبرز شاعري العصر أبوتمام والمتنبي.

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي:١٩٩.
(٢) البحتري بين نقاد عصره، صالح حسن اليظي:٨٨.
(٣) الديوان: ١١٥٢/٢.

الخاتمة

لقد توصل البحث الى مجموعة من النتائج نوجزها في الآتي:

–لقد وجهت سهام النقد الى شعر أبي تمام والمتنبي من قبل الكثير من النقاد والدارسين، إلا أن شعر البحتري كان في الغالب في منآى عن هذا النقد، وهناك ثمة اجماع بين النقاد على استساغة شعره وقبوله أكثر من شعر غيره.

– تجنب البحتري في شعره التعقيد والمبالغة، وكانت استعاراته قريبة ومعقولة، ولم يكن مولعا بالفلسفة والمنطق، ومال في مذهبه الشعري الى الإيجاز واللمح وابتعد عن التطويل والتكلف، وكانت هذه الخصائص هي الأقرب الى الطبع العربي في تلك المرحلة.

– كان الوصف الغرض الذى سما بشعر البحتري ومنحه قدرا من التميز وأكسبه الشهرة ولفت أنظار الدارسين والنقاد الى شعره.

– لقد استعان البحتري بالمحسنات البديعية ولاسيما اللفظية التي أعطت شعره قيما موسيقية، كالتكرار والجناس والطباق ورد العجز على الصدر، وإن أغلبه جاء عفو الخاطر بعيدا عن التعقيد والتكلف.

– ورد التكرار في شعره بأشكاله المختلفة، واستغل طاقات التكرار الفنية والموسيقية في خدمة نصوصه الشعرية.

– أكثر البحتري في استعمال التقسيم في شعره، لما يشعه هذا الضرب البديعي من موسيقى في مفاصل النص الشعري.

– اعتنى البحتري في شعره بالجناس والطباق ورد العجز على الصدر، وكان السبب بالدرجة الأساس اشاعة التلوين الصوتي والموسيقي في شعره.

– لقد تفوق البحتري في مشاكلة ألفاظه للمعاني التي يريد أن يعبر عنها، وكان يلائم بين الكلمات في الجرس وبين الحروف والحركات ملائمة دقيقة ليشيع في جمله الموسيقى الشعرية، لذا تعد الموسيقى الشعرية عنوان عبقرية البحتري ووسيلته الى إيصال المعنى الى المتلقي.

كانت هذه بعض النتائج التي توصل إليها البحث في الكشف عن مكمن الإبداع في شعر البحتري، والأسباب التي جعلت النقاد يقدمونه على غيره من الشعراء.

ثبت المصادر

أولاً: الكتب

- أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، لأبي منصور عبدالملك بن اسماعيل الثعالبي(ت٤٢٩هـ) مطبعة حجازي، القاهرة،(د.ت).
- أبو عبادة البحتري درس وتحليل، محمد صبري، دار الكتاب، بيروت،١٩٦٦م.
- أخبار أبي تمام، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، تحقيق: محمد عبده عزام وآخرين، طبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة،١٩٣٧م.
- أخبار البحتري، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، تحقيق: د. صالح الأشتر، مطبعة المجمع العلمي، دمشق،١٩٥٨م.
- الأدب العربي في العصر العباسي، د. ناظم رشيد، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- استراتجيات القراءة التأصيل والإجراء النقدي، بسام قطوس، مؤسسة حمادة ودار الكندي، الأردن، ١٩٩٨م.
- أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، علق حواشيه أحمد مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٧٢م.
- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ١٩٥٤م.
- الأغاني، لأبي فرج الأصفهاني، تحقيق: د. احسان عباس وآخرين، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨.
- البحتري بين نقاد عصره، صالح حسن اليظي، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- البحتري، أحمد أحمد بدوي، دار المعارف، ط١، مصر، ١٩٦٩م.
- بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، ط١، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار النهضة، مصر، ١٩٦٥م.
- حكم المتنبي الباهرة، عبود أحمد الخزرجي، مكتبة النهضة، ط١، بغداد، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- دائرة المعارف الإسلامية، م.ت هوتسما وآخرون، تحقيق: ابرهيم زكي خورشيد وآخرون، مركز الشارقة للابداع الفكري، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، ط٣، مصر، ١٩٧٠م.
- ديوان البحتري، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، ط٢، مصر، ١٩٧٢م.
- رسائل الانتقاد في نقد الشعر والشعراء، تحقيق حسن حسني عبدالوهاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٦م.
- شرح ديوان المتنبي، عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
- شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة، أحمد بن محمد أبو علي المرزوقي، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٧م.
- شعر أبي تمام بين النقد القديم ورؤية النقد الجديد، سعيد مصلح السريحي، النادي الأدبي الثقافي، ط١، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
- شعر البحتري دراسة فنية، د. خليفة الوقيّان، المؤسسة الفية للدراسات والنشر،ط١، بيروت، ١٩٨٥م.
- عبقرية البحتري، عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٥٣م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة دار السعادة، ط٢، مصر، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
- الفن ومذاهبه في الأدب العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٧، القاهرة، ١٩٦٩م.
- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، ط٦، بيروت، ١٩٨١م.
- اللغة الشعرية دراسة في شعر حميد سعيد، محمد كنوني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٧م.
- المتنبي وشوقي وإمارة الشعر، عباس حسن، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٧٦م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياءالدين ابن الأثير، تحقيق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، دار النهضة مصر للطباعة، الفجالة، القاهرة،١٩٦٠م.
- المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبدالله الطيب، دار الفكر، ط٢، بيروت،١٩٧٠م.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت(د.ت).
- مفاهيم الشعرية، (دراسة في الأصول والمنهج والمفاهيم)، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٤م.
- من حديث الشعر والنثر، طه حسين، دار المعارف، ط٢، مصر، ١٩٧٥م.

❖ الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم حسن بن بشر الآمدي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٧٢م،
❖ الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة البابلي الحلبي وأولاده، ط٤، القاهرة،١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
❖ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.
❖ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور عبدالملك بن اسماعيل الثعالبي، تحقيق ابراهيم صقر، مكتبة مصر، الفجالة، مصر(د.ت).

ثانياً: الرسائل والأطاريح الجامعية

❖ دور التكرار في موسيقى شعر البحتري، وسيم حميد القبلاوي(رسالة ماجستير) مقدمة الى قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة جرش، الأردن،٢٠١٤م.

ثالثاً: الدوريات

❖ أسلوب التكرار بين تنظير البلاغيين وإبداع الشعراء، شفيع السيد،(مجلة إبداع) العدد(٢) السنة الثانية، يونيو، القاهرة، ١٩٨٤م.

Al-Buhtari's Poetics between Abi Tammam and Al-Mutanabbi

Prof.Dr. Nawzad Shukr Mirani
Salahaddin University - Erbil
College of Languages / Department of Arabic Language

Abstract

This paper answers the question, "Where does Al-Buhtari's poetics lie?" What are the reasons that led critics to present him to Abu Tammam and Al-Mutanabi, and to describe him as a poet from among them? It also seeks to show the hidden side of his poetics by focusing on his poetic creativity in what is new and different from others.

The nature of the research required that it be in two topics preceded by a preface and ended with a conclusion with the most prominent findings of the research, the introduction dealt with: the concept of poetry, the opinion of Abu Ala in describing him as a poet from among them, and the place of the three poets in the criterion of Arab criticism, and the first topic: it embraced the most important opinions That was said in the poetics of Abu Tammam and Al-Mutanabi, while the second topic is devoted to explaining Al-Buhtari's poetics and the most important reasons that made critics praise his poetics and prefer him to other poets.

After presenting the opinions of the critics, it became clear: that Al-Buhtri was a moderate poet who combines the ancient and the modern, and he had a wide imagination, his poetry was beautifully articulated with clear meaning, easy to articulate in terms of music and poetic style, accurate in description and photography, and that his poetry came away from complexity and exaggeration. His metaphors are close, and he was not fond of logic and philosophy like Abu Tammam. The powerful, poetic and successful employment of Badiqat:

Such as repetition, deficiency in the chest, division, alliteration and contradiction, and everything that serves his music and strengthens it, for these and other reasons, Al-Buhtri won the admiration of critics and scholars, and his progress over its authors, wishing that this study would be a new addition to the studies held on the poetry of the three poets, especially Al-Buhtry.

Key words: poetry - criticism - meaning - alliteration - counterpoint